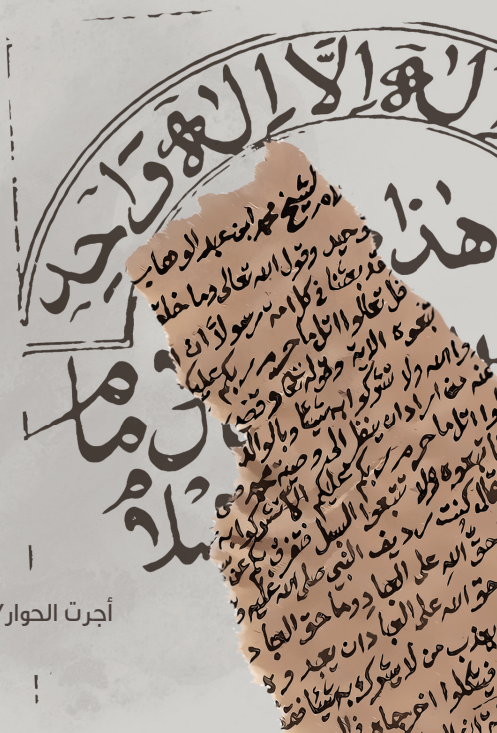


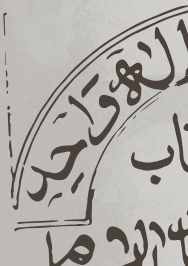
# حوار حول كتاب «إله التوحش»: النصوص المؤسسة للوهابية والدولة السعودية هي ورثة عمل دراستي الجديدة



أجرت الحوار / د. انتصار رضي

سبق أن تناول الباحث البحريني «د. علي الديري» البيئات السياسية كمدخل لتفكيك النصوص المتوحشة من أرثوذكسية السلاجقة إلى سلفية ابن تيمية في كتابه الذي أثار جدلا (نصوص متوحشة) الذي ستصدر طبعته الثالثة قريبا.

يعود اليوم في إصداره الجديد (إله التوحش) ليناقدش التكفير كمشروع قتل يميله صراع سياسي عبر دراسة دولة الدرعية والوهابية متناولا في ذلك سيرة مؤسسها محمد بن عبد الوهاب ودعوته وتوسعها في نجد حتى صارت دولة وسياسة وجيش وقوة! سيتعرف القارئ على سيرة محمد بن عبد الوهاب في سياقها السياسي ونصوصه التكفيرية التي جرّدت الإنسان من إنسانيته وشرعنت الموت المستحق لمسلم مقرّ بالشهادتين لا يتوافق مع التأويل الوهابي للنصوص، التأويل الذي شرعن العنف والكرهية عبر الخطاب الوهابي لنواقض الاسلام ونواقض الايمان!!



مختار  
وتنوير

يقودك هذا الكتاب لمعرفة كيف ولدت من هذه الحركة  
حركات العنف والتوحش التي باتت ترهب العالم ..!  
مع د. علي الديري وجديده (إله التوحش):

لنبدأ من مفردة التوحش، ألا تعتقد معي أن مفردة التوحش الآن انزاح معناها من الوحشية إلى معنى آخر اشتهر بعد كتاب أبو بكر ناجي (إدارة التوحش). أليس التوحش الآن أصبح مصطلحاً يطلق على حالة الفوضى التي تعم البلدان بعد وجود فراغ في السلطة مثل ليبيا بعد القذافي والعراق بعد صدام .. حالة الفراغ السياسي تلك، التي لا يناقشها كتابك طبعاً؟

التوحش ليس اسمًا أو مصطلحًا هو مفهوم، ولا أحد يملك المفاهيم، بمعنى أنه يعبر عن فكرة ولا يشير إلى جماعة أو مذهب أو شخص. ربما يكون الانثروبولوجيون أكثر من استخدم هذا المفهوم للدلالة على الجماعات غير المتحضرة، ثم تراجعوا واعتذروا لهذه الجماعات، فصاروا يسمونهم الجماعات البدائية.

التوحش مفهوم يصف الموقف العملي الذي وقع بالتاريخ والنص النظري الذي شرّع له، وأقصد هنا الموقف من الآخر المختلف معنا في المذهب أو الدين أو السياسية. لدينا في تراثنا الإسلامي نصوص عقائدية وفقهية مشحونة بالتحريض والعداء والكرهية والتشريع للقتل، ولدينا تطبيقات عملية لها في التاريخ. أنا مهتم بهذه التطبيقات، وجميع النصوص التي درستها في كتابي (نصوص التوحش) وكتابي (إله التوحش) كان لها تطبيقات عملية موثقة في كتب التاريخ المعتمدة.



لماذا الوهابية ؟ أليست هي موجة وفي طريقها  
للزوال الحتمي. ما هي الحاجة إلى كتاب إلى  
التوحش في هذه الآونة ؟

لماذا الوهابية ؟ لأنها نجحت في أن تغزو العالم  
باسم التوحيد الخالص والسنة الصحيحة والسلف  
الصالح، لقد اخترقت العقل الإسلامي، وتمكنت  
من سرقة وجهه.

الحديث عن الوهابية اليوم بخطابها التكفيري لا يمكن  
فصله عن السياسة، لقد انطلقت في نقدي لنصوص  
التوحش وإله التوحش من فكرة مفادها أن " التكفير  
مشروع قتل يمليه صراع سياسي"، وأجد الوهابية  
نموذجاً لاختبار هذه الفكرة.

كتابي ليس دراسة عن حجم حضور الوهابية في العالم  
الإسلامي، لكني سأجيب عن سؤالك لأوضح أهمية  
دراسة الخطاب الوهابي دراسة نقدية.

لنأخذ مصر وماليزيا نموذجين لانتشار الخطاب الوهابي  
وتوسعه، ونشر الكراهية؛ في المشهد الماليزي، تمكنت  
الجامعات المدعومة بشكل مباشر من السعودية  
بأن تحول المذهب الشيعي الاثني عشري، إلى " ديانة  
محظورة" كونها " تحمل العديد من الانحرافات العقائدية  
المخرجة من ملة الإسلام". في ماليزيا تكفير الشيعة يتم  
بقانون رسمي ماليزي، كذلك تحظر الدولة، بقرار رسمي  
أيضاً، استخدام لفظ الجلالة للإشارة إلى الرب عند غير  
المسلمين، ما أثار حملة واسعة في البلاد تحت شعار  
" الله للمسلمين فقط".

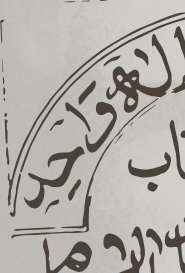
في مصر دعمت المملكة الجامعات الدينية الخاصة،  
وفرت الدراسة المجانية لأبناء العالم الإسلامي، منحهم

شهادات عالية موازية للأزهر ومصدقة من  
الجهات الرسمية المصرية، سرقت أساتذة  
الأزهر، وصاروا يدرسون في (جامعة المدينة  
العالمية) لتأخذه من الأشعرية إلى عبادة  
محمد بن عبد الوهاب.

في السعودية نفسها الأبواب والتسهيلات  
مفتوحة لاستقبال أبناء العالم الإسلامي،  
مقابل أن يتخرجوا كدعاة لتصدير الوهابية،  
بموجب ذلك تمكنت الوهابية من وضع يدها  
على أكبر المساجد الأوروبية والأميركية،  
وهذه عينة من الدعاة في الغرب المتهمين  
بخطاب الكراهية، وكلهم خريجو الجامعة  
الإسلامية بالمدينة المنورة؛ الداعية بلال  
فيلبس، الداعية أبو أسامة الذهبي، الداعية  
ياسر قاضي.

بعد أن ناقشت في (النصوص المتوحشة) جذور الفكر  
التكفيري المتمثل في آراء ابن تيمية، ثم تحدثت في  
(إله التوحش) عن آراء ابن عبد الوهاب كامتداد طبيعي  
لتلك الجذور، فهل سنرى قريباً لك كتاباً يتحدث  
عن (داعش)؟ وما الذي يجعل سير أصحاب الفكر  
المتطرف وأفكارهم ملهمًا ومولدًا لحركات لا تنتهي؟

لست مهتمًا كثيرًا بداعش، بقدر اهتمامي  
بترائها المستخدم من النصوص، في  
(نصوص متوحشة) وفي (إله التوحش)  
ذهبت إلى سياق هذه النصوص السياسي  
والعقائدي والفقهية. تمثل هذه النصوص  
الأب المؤسس لما نشاهده اليوم من ولادات لا



تنتهي من حركات التوحش، نحتاج إلى نقدها وكشف سياقاتها السياسية.

الأفكار والنصوص لا تموت، إنما تُستعاد وفق ما يتوافر لها من سياقات سياسية وثقافية، الأفكار التي تعطي القتل والكراهية، والأفكار التي تعطي الحياة والحب. والوهابية هي استعادة

لنصوص التوحيد والتكفير عند ابن تيمية. ظنت سلطة المماليك أنها قضت على أفكار ابن تيمية، حين سجنته ولم تستجب لدعوته في استبدال الأشعرية بالسلفية على طريقته، لتكون هي عنوان أهل السنة والجماعة، وستظل هذه القضية محل نزاع سياسي وعقائدي، كما شاهدنا بعد مؤتمر غروزي "من هم أهل السنة والجماعة".

كانت لحظة وفاة ابن تيمية، هي نفسها لحظة حياته، وقد سجل تلميذه ابن كثير شهادة حياته في نصه التاريخي الذي وصف جنازته وصفًا تختلط فيه المبالغة والتقديس بالحقبة التاريخية، واسمحوا لي أن أتوسع قليلًا هنا لأوضح أن حياة الأفكار أخطر من حياة الأشخاص، هناك مقولة للإمام أحمد بن حنبل "بيننا وبين أهل البدع يوم الجناز"، وتروى بصيغة أخرى "بيننا وبينكم شهود الجناز". كتب ابن كثير نص جنازة ابن تيمية على وقع هذه المقولة، ونحن في الحقيقة لا نعرف الحقيقة التاريخية لحجم الجنازة وما حدث فيها، لكننا نعرف أن وصف ابن كثير صار حقيقة تاريخية، والسلفيون لا يملون من استعادة هذا النص والاحتفاء به.

بعض التقديرات تقول إن عدد من شاركوا في الجنازة ستين ألفاً إلى مائة ألف إلى أكثر من ذلك إلى مائتي ألف والنساء بخمسة عشر ألف، ويقول ابن كثير بلغ الأمر أن شرب جماعة الماء الذي فضل من غسله، وقيل إن الطاقية التي كانت على رأسه دُفِعَ فيها خمسمائة درهم، وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير، وتضرع، وخُتِمَتْ له ختمات كثيرة، وتردد الناس إلى قبره أياماً كثيرة ليلاً ونهاراً، يبيتون عنده ويصبحون، ورؤيت له منامات صالحة كثيرة ورثاه جماعة بقصائد جمّة.

هكذا إذن يقدم ابن كثير شهود الجنائز وكأنها تصويت على أفكار ابن تيمية واستمرار أفكاره في الناس الذين عبروا عن حبه وتقديره بالمشاركة على هذا النحو في جنازته.

إذا كانت جنازة ابن تيمية رد اعتبار لما وقع عليه من سجن، فسيرة محمد بن عبد الوهاب كما ترويها كتب التاريخ الرسمية السعودية، تشبه السيرة النبوية، محاطة بالعناية الربانية والتوفيق.

حكاية السير بهذه الطريقة تجعلها حية ومولدة في نفوس الأتباع، لذلك لا تموت أفكار أصحاب هذه السير.



هل تعتقد أن تحالف ابن عبد الوهاب مع ابن سعود كان السبب الرئيس في انتشار الدعوة الوهابية، أم أن الطبيعة النجدية البدوية القاسية كانت مهياةً لهكذا فكر جاف ومتشدد؟

لولا هذا التحالف ما نجحت الدعوة، إنه اتفاق الدرعية 1744، وقد بذل محمد بن عبد الوهاب جهدًا كبيرًا، وكاد أن يموت مرات حتى نجح في الوصول إلى هذا التحالف، وهو بالمناسبة تحالف غير مكتوب، لكنه مدعم بالدم والهدم "الدم بالدم والهدم بالهدم". يشكل هذا التحالف جزءًا أساسيًا من سيرة الدعوة والدولة، وهو موضوع توسعت في عرضه في الكتاب. هذا الاتفاق نموذج آخر على أن نصوص التوحش نتيجة تحالف السياسة والدين، وأن أفضل بيئة لإنتاج نصوص دينية متوحشة هي السياسية.

الطبيعة النجدية متنوعة وأنتجت شعراء يحتفون بالحياة ويتغزلون بالجمال ويستمتعون بالطبيعة، ويكفي أن على أرضها قصة قيس وليلى.

على ضوء البحث العلمي والوثائق المتاحة في ما يخص سيرة ابن عبد الوهاب، كيف تقيمون علميًا ما ورد في (مذكرات الجاسوس البريطاني همفر)؟ وما مدى مصداقيتها مضمونًا ومصدرًا؟

لم يشكل مصدرًا في دراستي، ولا أجد له قيمة حقيقية، وليس لهذه المذكرات وجود في الأرشفة البريطاني، كذلك لم أعتمد كتاب "لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب" فمؤلفه مشكوك فيه ومعلوماته عن السيرة غير معتمدة.

اعتمدت في دراستي على المصادر الرسمية التي تحتفي بها الوهابية والدولة السعودية، وأهم مصدريين هما كتاب ابن غنام "روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعدّد غزوات ذوي الإسلام" وكتاب ابن بشر "قصة المجد في تاريخ نجد".

**في خضم ما كتب عن الحركة الوهابية ومؤسستها والدولة السعودية الأولى، ما الذي يضيفه (إله التوحش) للقارئ خلاف ما هو متوفر من مصادر وكتب؟**

لكل دراسة منظورها ومقاربتها، أنا حاولت أن أفهم كيف تتأسس دولة في القرن الثامن عشر وهو قرن الحداثة الغربية، على دعوة دينية جوهرها تكفير من يختلفون معها في مفهومها المتعصب للتوحيد، أردت أن أفهم كيف صار رجل هذه الدعوة (محمد بن عبد الوهاب) أباً مؤسساً للدولة؟ كيف منح الدولة هويتها الشرعية؟ وكيف صارت الدولة بدعوته للتوحيد الجهة الوحيدة المحتكرة للعنف والممارسة له في الوقت نفسه، ليس ضدّ من يخالف القانون بل ضدّ من يخالف معتقدها؟ هذه الأسئلة ممنوع طرحها في السعودية، ولا يمكن مقاربتها بعقل حر أو فضاء مفتوح.

من جانب آخر، أردت أن أفهم كيف تولد من مفاهيم هذه الدعوة للتوحيد والهجرة والجهاد حركات عنف وتوحش ترهب العالم، وهذه عينة من تنظيمات متطرفة، تتخذ من



عنوان التوحيد اسمًا لها وتُعرّف عقيدتها ومهمتها الرسالية بالعبارات نفسها التي يستخدمها محمد بن عبد الوهاب في كتابه (التوحيد): جماعة التوحيد والجهاد (العراق)، جماعة التوحيد (ألمانيا)، جماعة التوحيد والجهاد (مصر)، التوحيد والهجرة (مصر)، التوحيد والهجرة (العراق)، حركة التوحيد والجهاد (غرب أفريقيا)، جماعة التوحيد والجهاد (بيت المقدس)، جماعة التوحيد والجهاد (المغرب الأقصى).

لو نظرنا إلى واقع المؤسسة الدينية الوهابية الحالية، هل تجدونها ملتزمة بأفكار ابن عبد الوهاب -خصوصا في ما يخص الشرك والتوحيد والغربة والهجرة والجهاد- أم أنها انحرفت تحت الضغوط الدولية وضغوط أصوات الإصلاح الداخلية؟

”طاعة ولي الأمر“ تكاد تعادل فكرة الإمامة من حيث الانقياد والطاعة، وهذا ما يجعل الدعوة الوهابية كمؤسسة (هيئة كبار العلماء) أداة يمكن التحكم فيها وضبطها عبر ولي الأمر، لكن كدعوة وخطاب لا يمكن ضبطها، ويمكنها أن تنتج جماعات لانهاية لها، كدالة رياضية لا نهائية.

هناك قائمة للتكفير وهي: عدم البراءة من الكفار، والإعجاب بتشريعاتهم، وإظهار المودة لهم، والتشبه بهم، واتباعهم، والتقرب منهم. كل عنوان في هذه القائمة يعتبر ناقضا من نواقض الإسلام، ويحكم عليك بالكفر حين لا تتبرأ من الكفار، أو تُعجب بهم، أو تتشبه بهم، أو تتبعهم، أو تتقرب منهم. لكن يمكن أن يتم تكْييف هذه القائمة إذا ما تعلق الأمر بـ (ولي الأمر) فتصبح [هذه القائمة] مصالح مباحة، يُشرع لها ويؤصل لها، ويُكفر من يعترض عليها،

وتُشرّع الحرب على من يقف ضدها، لأنها بمثابة الخروج على مصالح (ولي الأمر).

لأنّ كيف هذه القائمة لإنتاج خطاب تسامح وسلام ومحبة مع الآخر، فجوهر الدعوة، قائم على التشدد والتكفير والكرهية، لكنها تكيف وفق قاعدة المخارج الشرعية لمصالح ولي الأمر السياسية، حدث هذا التكيف في حرب أفغانستان وغزو الكويت واستدعاء قوات الكفار للجزيرة العربية وعاصفة الحزم.

**باعتقاده ماذا سيتعلم الشيعة من درس التوحش هذا؟ ألا يستدعي هذا البحث في الجذور العميقة للكرهية وتفكيكها سواءً أكان ذلك لدى الشيعة أو السنة؟**

التوحش بالمفهوم الذي استخدمته، حالة متقدمة على حالة عدم القبول بالمختلف، والاختلاف مع الآخر أو حالة اعتبار كل دين أو مذهب أن الدين الآخر والمذهب الآخر ضالين أو خرافاً ضالة. في التوحش، نحن أمام حالة دعوة للتقتيل والاستباحة، الآخر ليس خروفاً ضالاً بل خروفاً للذبح. أنا أتحدث عن نصوص عقائدية وفقهية، تُعطي لجيش الإذن والأمر بقتل جماعة أخرى واستباحتها وسلب مالها ونسائها.

أرجو أن لا نخلط حالة التوحش بحالة التعصب وضيق الأفق، فتلك حالة أخرى، بمعنى أن كل توحش هو تعصب وانغلاق وكرهية، لكن ليس كل حالة تعصب وانغلاق توحشاً. علينا أن نميز بين الحالتين كما يميز القانون بين حالات الجرح وحالات الجنايات، وهذا مثال للتقريب فقط.



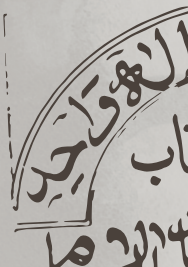
في تقديري، لم يتورط الفكر الشيعي في إنتاج  
نصوص متوحشة بالمعنى الذي شرحته، لأنه كان  
في الغالب يمثل الأقلية والهامش، لكنه تورط في  
إنتاج نصوص غير معقولة، وثبت مسلمات عقائدية  
مغلقة، هي من صنع التاريخ والسياسة، وأنتج  
سرديات تاريخية متخيلة.

على الفكر الشيعي أن يتعلم من درس التوحش، عدم  
تقديس نصوصه ومدونات، عليه أن يكون شجاعاً في نقد  
أصوله وتفكيك مسلماته من شبك التوظيف السياسي،  
والانغلاق التاريخي، وإلا فهو مهدد بظهور جماعات  
متطرفة يتم توظيفها في الصراعات السياسية، والأمثلة  
الحاضرة في ذهني الآن، ظاهرة ياسر الحبيب وجماعته،  
وظاهرة أحمد حسن اليماي، وظاهرة الجماعات  
المهدوية، وجماعات الشعائر المقرزة.

صحيفة العالم الجديد  
مدونة د. علي الديري

    awalcentre

info@awalcentre.com | www.awalcentre.com



# إِلَهُ التَّوْحَشِ

التكفير والسياسة الوهابية